المجاز

(تابع لما في الجزء الثالث)

واما المجاز المرسل فهو ما عُبِّر فيهِ عن الشيء بلفظ مُلابسهِ وسُمِّي بالمُرسَل اي المُطلَق لخلوّهِ عن قيد التشبيه الذي هو شرط الاستعارة ولذلك عرّفوهُ بانهُ اللفظ المستعمل في غير ما وُضع لهُ لعلاقةٍ غير المشابهة . وقد انهوا انواع العلاقة المعتبرة في المجاز المرسل الى خمسة وعشرين نوعاً نذكر هنا اشهرها واكثرها دوراناً في الكلام . فمنها تسمية الشيء باسم جزئهِ كقولهم سافر ولا ظهر لهُ أي لا دابَّة لهُ يركب ظهرها وعندهُ كذا رأساً من الغنم وهو الواحد منها وهو يملك كذا رَقَبَةً أي عبداً وكتسميتهم السيوف بالظُبَى وهي جمع ظُبَة ومعناها حدّ السيف واطلاقهم العوالي على الرماح وهي جمع عالية والمراد بها صدر الرمح وقيل هي نحو ثلثهِ مما يلي السنان . ومثل ذلك تسميتهم البيت من الشعر بالقافية وتسميتهم الخطبة بالكلمة والكلمة بالحرف الى غير ذلك . ومنها تسمية الجزء باسم الكل كقولك ضربهُ فشجّهُ اي شجّ رأسهُ لأن الشجّ خاصٌّ بالرأس وقطع الأمير اللصّ أي قطع يدهُ وقولك وكف البيت وانما تريد السقف لأن الوكف لا يكون الاّ منهُ ورجلٌ اكحل العينين أي الاجفان وهو ان تكون سوداء خلقةً وأشهل العينين أي الحدقتين وهو ان يكون سوادهما مَشُوباً بحمرة . وكذا قولك رجلٌ اكحل واشهل ومثلهُ رجلٌ أفقم واصلع واقطع واعرج يُطلَق الوصف في ذلك كلهِ على الشخص والمراد بهِ العضو الذي يختص ذلك الوصف بهِ وهو كثيرٌ في الاستعمال . ومنها تسمية الشيء باسم

محلّهِ كقولك حكم المجلس بكذا أي رجال المجلس وقولك شربت الكأس أي شربت السائل الذي فيها وقرأت الصحيفة أي قرأت ما فيها من الكتابة ومثل ذلك قولك زخر الوادي وفاض الاناء ورشحت المزادة وهذه بئرٌ عذبة وسوقٌ رائجة وقولهم حنَّت اليهِ ضلوعهُ وملأَت الهموم صدرهُ وما جرى هذا المجرى * وقد اضطرب كلام البيانيين في هذا النوع فانهم تارةً يعدّونهُ من المجاز المرسل ويمثلون عليهِ بقولهِ فليدعُ ناديهُ وتارةً يعدّونهُ من المجاز العقلي ويمثلون عليهِ بقولهم نهرٌ جارٍ ولا يظهر بينهما فرق . ولعل الاوجه فيما كان كذلك أنهُ ان كان المحلّ خاصاً بالحالّ فيهِ او مما يغلب ان يكون محلاً لهُ كما في سال النهر كان اطلاقهُ عليهِ مجازاً مرسلاً وان كان وجودهُ فيهِ عارضاً كما في قولنا سالت البيداء اذا كثر فيها ماء المطر فهو مجازٌ عقلي . ووجههُ ان بين النهر والماء تلازماً في الذهن لأَنهُ لا يقال الاَّ لما يجري الماء فيهِ فيكون الماء داخلاً في مفهوم النهر فاذا صُرف المعنى اليهِ كان مجازاً مرسلاً لأنهُ يكون من قبيل المجاز في المفرد وكان الاسناد اليهِ اسناداً حقيقياً . وبخلاف ذلك البيداء فانهُ لا دخل للماء في مفهومها لانها لم تُعهَد قطّ محلاً لهُ فاذا اسند اليها ما يُسنَد الى الماء كان المجاز في الاسناد دونها وبقي لفظها على حقيقتهِ . وعلى ذلك يتمشى ظرف الزمان ايضاً فيكون نحو صبيحةٌ باردة وظهيرةٌ غرّاء أي شديدة الحرّ من قبيل المجاز المرسل ونحو يومٌ صائم وليلةٌ ساهرة من قبيل المجاز العقلي والله اعلم . ومن ذلك تسمية الشيء باسم الحالّ فيهِ وهو عكس ما تقدم كقولك نزلت بالقوم أي بدارهم وبزلت الخمر أي ثقبت اناءها وأجدب القوم أي اجدبت ارضهم ومثلهُ مُطِر القوم وقولك

سق الله فلاناً وما أشبه ذلك وهو قليل . ومنهُ تسمية الشيء باسم آلتهِ نحو هو صادق اللسان أي الكلام وصادق العين أي النظر وفرسٌ سريع القوائم أي الجري ولفلانٍ في هذا الامر يدٌ ولهُ اليهِ قدم وكتبت بالقلم الريحاني ولفلانٍ قلمٌ بليغ الى غير ذلك . ومنهُ اطلاق العامّ على الخاصّ كتسميتهم القيد بالادهم والزنجيّ بالاسود والرمح بالاسمر فانها صفاتٌ عامّة جُعلت اسمآءً لهذه الاشيآء . ومن هذا تخصيصهم اللوح لما يُكتَب عليهِ واليراع وهو القصب للاقلام والأَسل وهو ضربٌ من النبات للرماح والحبل للرسن والشآء للغنم وهي في الاصل تشمل المعز والظبآء والبقر والنعام وغير ذلك . واما عكس هذا اي اطلاق الخاص على العام كاستعمالهم الرائد لكل طالب حاجة ونقلهم الحُوّة من الوان الخيل الى كل ما كان اسود وقولهم رُضاب المُزن ورُضاب النحل الى غير ذلك فالصحيح ان هذا كلهُ على التشبيه فهو من قبيل الاستعارة . ومثلهُ استعمال الخاص في الخاص كاطلاقهم الجفن على غمد السيف والحاجب على حرف الشمس والحِجْل وهو الخلخال على البياض في قوائم الدابّة وكقولهم شفة الكأس وعنق الابريق وفم المزادة وغير ذلك مما تقدم ذكرهُ في محلهِ

وقد رأَيت ان اكثر هذه الوجوه يرجع في الغالب الى التفنن في اساليب التعبير والتوسع في استعمال اللغة وبعبارةٍ أُخرى يُقصَد منهُ التعبير عن المعنى الواحد بطرقٍ مختلفة على ما يذكرهُ البيانيون في تعريف هذا الفن وعلى ما سبقت الاشارة الى مثلهِ في بحث الاستعارة . ولذلك لا يكاد شيءٌ منهُ ينطبق على غرضنا في هذا الموضع ما خلا النوع الأَخير منهُ وهو

اطلاق العامّ على الخاصّ فانهُ كثيراً ما يُستغنى بهِ عن الوضع المخصوص فيما لم يوضع لهُ لفظ . وذلك كما يقال نخل الشيء اي صفّاهُ واختارهُ ثم قيل نخل الدقيق اذا ساقَطَهُ من خَصاص المنخل ليعزل نخالتهُ عن لبابهِ . وكقولهم ألمَّ الامرُ اذا قرب ثم قالوا غلامٌ مُلِمّ اذا قارب البلوغ وشجرة مُلِمّة اذا قاربت ان تثمر . وقولهم دفن الشيء اذا سترهُ وواراهُ ثم خُصَّ بدفن الميت . وقولهم حجَّ فلاناً اذا قصدهُ ثم خُصَّ بقصد المعاهد المقدسة . ومن ذلك الوَغَى اصل معناهُ الصوت والجَلَبة ثم خُصَّ بالاصوات في الحرب ومثلهُ الوَعَى بالعين المهملة . والقَصَب وهو كل نبتٍ ذي أنابيب ثم خُصَّ بهذا النبات المعروف . والحِضن وهو جانب كل شيءٍ وناحيتهُ ثم خُصَّ بالانسان وهو ما دون الابط الى الكشح . ومثلهُ العِطف بالكسر وهو الجانب من كل شيء ثم خُصَّ باحد جانبي الانسان من لَدُن رأسهِ الى وركهِ . ومثقال الشيء وهو مقدار ما يوازنهُ يقال ما عند فلان مثقال ذَرَّةٍ ذهباً ثم خُصَّ المثقال بمقدارٍ معلوم وهو درهمٌ وثلاثة اسباع الدرهم . وقس على كل ذلك ما اشبههُ وهو في اللغة اكثر من ان يُحصَى (ستأتي البقية)

الكَفَرة

هم جيلٌ من سكان جنوبيّ افريقيا يُعرَفون بهذا الاسم قيل سماهم بهِ المسلمون من العرب عند ما دخلوا بلادهم بقصد دعوتهم الى الاسلام . وهم قبائل منتشرة على شاطىء البحر الهندي من بلاد موزمبيق شرقاً الى بلاد الرأس غرباً على مسافةٍ تقرب من ٦٠٠ ميل طولاً في ٢٥٠ عرضاً . وبلادهم